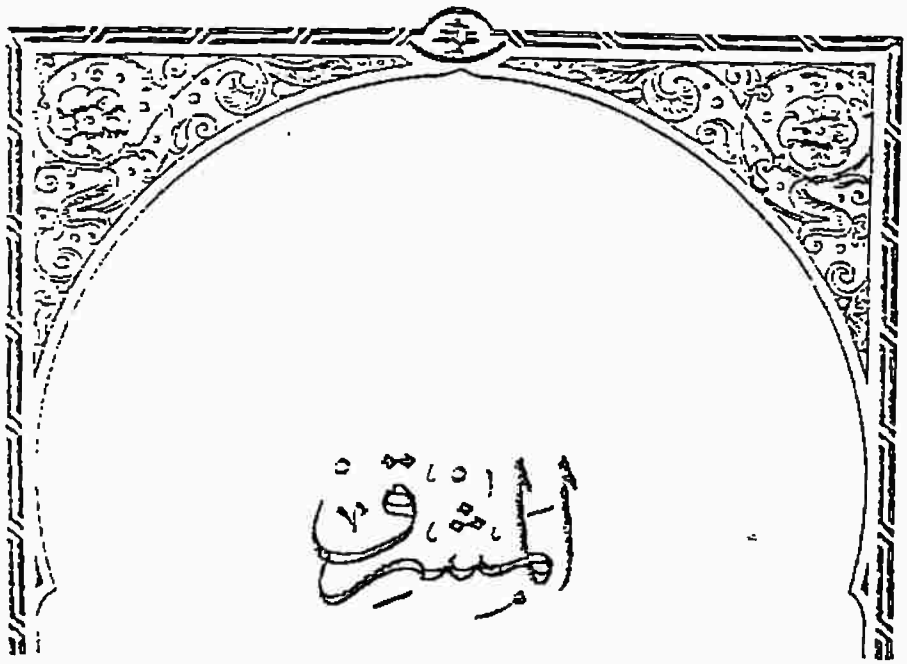

السنة الثامنة والعشرون — تموز – تشرين الاول ١٩٦٥

نقد ديوان لمحمود عماد

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

قد طُبع هذا الديوان في القاهرة سنة ١٩٤٩ . بعد اربعين عاماً قضاها صاحبه المصري في نظم الشعر ونشر قصائده في عدة جرائد ومجلات . في اول مسابقة اقترحها مجمع فؤاد الاول الملكي للغة العربية على شعراء العالم العربي سنة ١٩٤٧ : قد منح ديوان عماد الجائزة الاولى « في شعر المدرسة الحديثة الابتداعية » . ثم اهدى لنا صاحبه نسخة منه مصدّرة بتوقيعه . في ١٧ ايار ١٩٥٠ . فلا بدع باقدامنا على نقد ذلك الشاعر الشهير : بعد قضائنا عشرات الساعات في قراءة قصائده بكل الانتباه . للتمييز بين خرزها وخالها. نؤكد لقراء « المشرق » ان كون عماد من مواطنينا : وبله قصب السبق في المباراة المشار اليها لم يؤثرا ادنى تأثير في نقدنا المفصّل لديوانه . من جهة اخرى قد اعلن هو ذاته في آخر المقدمة الطويلة : هذا الاعلان السديد المتواضع : « وان تحدثتُ عن صلة هذا الشعر بنفسي ، فلا ارى من حقي « ان اتحدث عن صلته بالفن ؛ بل ارى ذلك من حق القراء . »

ليس من شك ان هذه الابيات ابداء رأي شامل صائب في مواضيع قصائد عديدة . فانها كثيرة . شديدة الشرح . لا يجمع ما تحاس منها الا في تبريب . وقد تحتم عليه بذل جهد جاهد لتمييز موادها الجوهرية .

لعباد فكرة سامية صحيحة في خصائص الشاعر ورفعة رسالته بين سائر البشر . قال عنه . وهو القائل :

انـــه رحمة تمشت وحنت كل ما دب على الارض وسارْ .
هو في الارض رسول من علٍ يتلو رقيمـــا فوق المدار .
من سواد نعت الليل لنا ساكبا وحيا عذبا انحدار ؟
من سواد عرّف الحسن . ومن عرّف القبح . فحلّى واثار ؟
شرهم . لو عدلهم وجه . يحسن الخير في هدي القدر ؟
انه نعمى نمع وهـــدى . وإذا اختص بشر وحسار .

سنرى في هذا البحث اي شأو قد بلغه عباد في القيام بتلك الرسالة العالية .

النوع الاول من مواضيعه تمكن تسميته فلسفة الحياة . فانه يحدثنا فيها عن الله تعالى والانسان : الدنيا والآخرة : المصير والسعادة .

يقابل بين قصر عيشتنا الارضية ودوام الاله القيوم . المشاهد لتقلباتها المتواصلة وفنائها السريع :

يا ليتنا مثل الغصون ربيعنـــا يتجـــددُ !
لكننا : منها نعش : فلنـــا ربيعٌ مفرد :
ووراءه يأتي خريف ثم لا يتعـــدد .
فصلان : ذا يهب الحياة لنـــا : وذاك يجرّد .
فصلان قصتنا : وبعدهما ستـــارٌ مرمـــد !
اعجبْ بها من قصة في كل عرض تُنقد :
والناقدون لهـــا هم اشخاصها : لا الشُهّد :
اما مُشاهدها : فمُخرجها العظيم الاوحـــد !

في قصيدته « الله » يقول انه قد توسل الى مولاه ان يُريه عرشه ومقرّه : « فطار شخصه من فوق الثرى » :

واجتاز اقطار الوجود : فلم يعُد يبدو له الكون الخفيل ويظهرُ :
وهناك أُسقط في ظلام دامس : لم يدر اي جهاته يتخير[1] ...

---

١) النقط الثلاث المتتابعة تدل في هذا البيت وامثاله على اهمالنا بعض ما يليه .

رفعت له ذراع . فجر توجه صعقاً يمجد ربه ويكبر .
وذا به في الارض يسجد مغضياً : قد راقه منه الخضوع الاخر .
فعلمت ان الكون اقدس معبد فيه يرى وجه الاله ويشعر !

يقول تمجيد عماد قد تعالى في « عمر الكون » :

اي عمر هذا الذي رهب الكون . وحدد بقيه الحياة ؟
اي مروي قد أطلقت نحوه الانجم منذ كن . لم يبحه الخفاء ؟
ان سبعاً يسير شوطاً كهذا : كيف لا يعتريه فيه الرياء ؟
وبأي القرى تعهده الزمن قديماً . فلم يحه الرجاء ؟
ايها يمنة يبيد ذا الب اكتناهاً ويستطير الذكاء !
ان بين الاناء والخلب فيها مردى الدهور والآباد !
يركع العقل والجنون جميعاً للذي قد رمى ويعثر اغباء !

الانسان . مع ضآلة جسمه وفرط قصر حياته الارضية . هو بلا مراء اعظم جداً من الكون المادي اجمع : مع رحابته المعجزة لاقدر العقول . وضخامة كواكبه وطول اعمارها التي تقاس بملايين سنوات النور . تفوق الانسان على كل الخلائق الحيوانية الخفضة . ناجم عن كونه ذا روح مخلوقة على صورة بارئها . ومن ثم لا يشبع جوعها الى الله تملك الكون برمته . قد اجاد عماد التعبير عن ذلك التوق المضني : في هذين البيتين :

يا ايها الكون العريض الطويل : اليس لي فيك عزاء قليل ؟
وسعت اجراماً وافلاكيا : ولم تسع قلبي الصغير الضئيل !

تستغرب بعد ذلك كل الاستغراب انه يجهل او بالاحرى يتجاهل غاية حياتنا : التي هي معرفة خالقنا وخدمته : يقول مخاطباً نفسه في « ذكرى ميلادي » :

من اين : يا ضيف الحياة : اتيت : ثم متى الرحيل ؟
وبأي كون سوف تختم ذلك السفر الطويل ؟
كل الى غرض يجول : فهل الى غرض تجول ؟
او انت سهم طائش : فاخترق الخفاء الى الوجود ؟...
الارض قد وسعت مناك : فما احتياجك للنجوم ؟
الكون شأن انت شطر منه : لا انت العموم :
افلست تفنى يوماً للكون قد كتب الخلود ؟

قد ختم مثل ذلك التصريح قصيدته الصوفية « لمتى » التي يرثي بها فيها وقد احترمها الموت . وهي في نهاية من شعرها :

يـــا زهرةً لي في الربيع ذوت . وقد ركبت الروحُ .
كوني غداً لي زهـــرةً في الخلد نامية الاريج .
حيث الاوانس لا تحول وحيث موتك لا يراهُ !

يرى اكثر الناس عبيد هواجسهم المنحرفة . فيخامره الشك في واجب انقياده للضمير الآمر بالفضيلة والناهي عن الرذيلة . فيقول :

ان الضمير الذي قدستَ صنمٌ خطّه انت من وهم ومن خرَف..
ان الفضيلة قيدٌ انت صانعـــه وفاق رُسعيك إن تحلس وان تقف
لذاك لم تستطع تحطيمـــه بيد اتعبتها زمناً في الصرخ والكلف .
انعيش حسٌّ . فلا تطلب ذخيرته الا من الحس بين الدُّر والصدف...
يخني الضمير علينا كل آونة جناية . ثم لا تخفي لتختف ؛
اي التقوى فيك : يا وهماً محلته في رأس ابغضنا للوهم والسخف ؟

ثم يفيق ضميره من غفوته : فيصيح صاحبه مكذباً رأيه النسائل كل التكذيب :

شكوتُ تاركك ، لكني انوّهنا اخالعي . فلتقضِ في موضع الشغف !
لأنت كالحسن يضنيني واطلبه : ان غاب عن ناظري في كل منعطف .
وان تربك عندي فوق تبرهم : وظهر ارضك احنى لي من التسف !

في « قصر معطّل » يقول ان صاحبه قد جمع فيه اسباب السعادة ، ثم زالت نعماه عنه ، فلم يلبث به غير خطة كالمنام . ويختم هذه القصيدة بتأكيده ان السعادة محصورة في راحة الضمير :

قُل لمن يحسب السعادة رهناً بحطام ، اكبرتَ شأن الحطام :
انمـــا هذه السعادة حقٌّ لضمير في راحـــة . وسلام :
غاب هذا الضميرُ في ثوب ملك او بثوب الثعلب والفحام .

على كل حال ان فرط كثرة الشرور المادية والروحية التي تكاد تسحق البشر بوطأتها الفادحة ، قد جعلت الشاعر المصري شديد التشاؤم . يقول في رثاء بنته السابق ذكرها :

لا تأسفي ان نلت عمرًا قـــد تناهى في القصرْ :
وحُرمت ان تستشقي نسمات عيشك في البكر !

وليلك . ما في العيش الا الشر حقاً وخسارة .
ما حق . ما الايام . ما الدنيا الفريضة . ما الامل ؟
لا شيء . الكل هكذا بالعيش تُغرى والعمر
تبكي على المرئي كأنك قد خُلقتما بالدموع !

ثم تشرد بصر حسن الانفس فيتناهم اليأس . اذ يرى عمر كل يوم عبيد الرذائل سائدين في علي مدارج الرفعة . وابطال الفضيلة معذبين في اسفل دركات الهوان . فيصرخ صارخ المجزن :

كيف عيش يرى كل يشرحون لها الرذيلة .
ويحتقرون لها الفضيلة في عراقيبها الجسيمة
قد سما من بعدُ بدرك ان ما ذكروه حيلة .
وان الرذيلة في مراقي العز والنعمى مريلة .
اما الفضيلة فهي عند الباب واقفة ذليلة !

خلاصة القول ان قصائد عماد القليلة التي ابدى فيها رأيه الفاسد والسطحي اكثر الاحيان في فلسفة الحياة . هي اشبه باللؤلؤ البهرج منها بالدرر اليتيمة .

اما قصائده الغزلية . فهي نحو ربع ديوانه الحاوي ٣٧٧ صفحة . واطولها « الشاعرة والمصور » تشغل اثنتين وعشرين صفحة . وقد وصف فيها عشقها المتبادل . الذي انتهى بابتعاد الشاعرة عن صبها وجنون هذا الشهواني التائص كربوات امثاله . بعدما ارتكبا الفحشاء . من اغرب الغرائب ان عماداً . مع ادعائه اصلاح المجتمع المصري في جل ديوانه . لم يتمالك عن ابدائه عشرات المرار هيامه بجمال النساء . بحيث لا مجال للريب في انه عاشق وفاق متيم لهن . لقد كثرنا الامثال على تشبيبه — وهي حفنة من كثيب — لئلا يعدّنا القراء مبالغين في رأينا .

قال في « السباحة الشقراء » :

يا بحر . خفّض سرعة التيار ؛ فاتنة الشطوط والبحار
قد ابحرت في زورق مختار ... تبدو بجسم فيه نصف عار
ذي نضرة كنضرة الازهار ؛ يقطر منها الطلّ في ايار .
قامت على ساقين من جمّار منصوبة الصدر عن استكبار ؛
يطعن نهداها النسيم الجاري ؛ فيرتمي في حضنها المعطار
محتمياً او آخذاً بالثار ؛ وبعد ذا يعجل في الفرار ،
فيقع المسكين في الاسار مكبلاً بشعرها الجرّار...

في « بيت عشتروت » يعترف بان صبية جميلة قد سبت عقله وقلبه :

اهيبا بشاعريتي ونفسي بسحري .
وحسني من طريقه ونصفيها من حسني...
في خدها مورداً على القميص الشمالي...
وكيف تدري انها تعلقني وشعلي ؟
عارية الساقين من قميصها المختزل .
تنظر لي في دهشة إن ابتدئ في الغزل :
وإن اقل « تخيّري قلبيّ او هذي الحلي » .
تشير بلا تردد خليها المفصّل .
ولو سألتُ قبلةً . تسكر معي القبل .

تلك الفتاة الدنسة التي ابتها النفسة البريئة . قد قبلتها منه طوعاً امرأة شريرة من اميرات الشبق . فيدعي في « عقد » انه قد عاقدها على الحب :

قلتُ لها عطنتها واباحت قبلتي خدها اباحة عامدْ :
« هذه صيغة التعاقد في الحبّ . ومن خالف التعاقد جاحد :
« فضمي خاتم . وخدك طرس . واحشا سامع . وثغرك شاهد »

« على الشاطئ » يصف فيها فرط اعجابه ببعض من النساء السابحات في البحر :

لمن الوجوه الطالعات عشيةً . فوق الخضمّ مطالع الاقمار؟...
المسبلات من الغروب براقعاً كالورد وشته يدا ايار :
الثابيات عشائراً وشعائراً : والحسن يجمعهن تحت شعار :
من كل مائسة القوام تخالها مخمورةً تهفو بغير خمار؟...
سربٌ من الأملاك طار على السنى من جنة قدسية الانهار !

بعد ان اشبع نظره الشهواني بمحاسن عريسين ، يتجاسر تجاسراً غريباً على تعيير امثاله الناظرين اليهن ، بل المطوقين لهن :

خلقٌ طهورٌ جاء يسكن ارضنا : الارض ليست مسكن الاطهار .
افما رأيت الوحش سُدد نحوه من السن نُصبت ومن اظفار
وسواعد مثل الافاعي طوقت تلك الغصون ، فمن بالاثمار ؟

اخلّ فرط شغفه بالنساء كل الاخلال ، فعد « ملكة الجمال » الجسدي فائقة لسائر الملوك والملكات ونوابغ الجنسين القوي واللطيف ، فيقول قول المعتوه الهاذي :

[illegible] جوى غير في [illegible] من [illegible] تترى .
[illegible] يثيره [illegible] حبيب تحرزٌ وتجبرا .
وحسبي غضوب يثيره مكثت في توحيد مؤزّر .
. يمثل من شعر . فحسبي بعيري ان يعثرا !
ثنت حكومة احتفت شعباً وذلت عسكر .
بني حسناك واحكمي عهداً شعيراً مشهرا .
هو مستشر يحسن شروري اذا امسر عرا .
ولكثري ما شئت . شأن الحسن ان يتكبرا !

[illegible] في حين يروم [illegible] في [illegible] قصيدة يرجي فيها نفسه [illegible] [illegible] وهي تحسب غريبة . وفي وصفه ما من سائغة والتكلف ما فيه

عوجي على الماء . يا احسني من الماء ثم اربعي فيه ضوءاً طيّ اضواء ،
واستقبلي موجه يُقبلْ على عجل اليك مرج اخيض افاديّ النائي .
وان برمت به . فافري غواربه ضعناً بنبديك . يرجع دون ابطاء .
يا فرحة البحر تسري في جوانبه . ووحشة البر اقوى اي إقواء !
سلي الأحاج الم يفتقد مليحته وانت مطوية فيها باطواء .
كم من قلوب عليك اليوم حائمة ! لا تغرقيها اذا ما غبت في الماء !

في « نحن عابر » يخاطب معشوقاته بصيغة جمع الذكور ، وربما كان ذلك من مظاهر اضاعته وشدة بتضوره في تيران الغرام:

ما صحونا عن حبكم — علمّ الله — ايصحو عن الطلى المدمنونا ؟
ان مشتنا بنت الكروم لرجس : فبنت الخلود كم قد سُقينا !
نحن : ان تصرف العيون عن الحسن : فهل بعده نريد العيونا ؟
واذا نكفر الغداة بما يوحي : تُرانا بغيره مؤمنينا ؟

عماد قد صرّح في البيت الأخير انه لا يؤمن بسوى حب النساء : زه ؛ زه ! الايمان بالله تعالى مصدر جميع الفضائل : بيد ان ايمان الشاعر المصري ابن الخلاعة وربيبات الجرائم الفظيعة المتنوعة المولودة منها في كل عصر ومصر . لا بدع من ثم بكون عماد لا يستحي البتة من ان يبوح لنا باستسلامه للعبادة ، كأنها قمة السماء : في القصيدة « حنا » :

حنا : والدهر بسّامٌ ، وعُسر الحب في يسر ،
وقفت انسا وحوّاني نهد الموج في النهر ،

وتقطف ما جنته من الاوراق وزهر .
ولا تخشى ترعاتها ولا الشيب ذو مكر .
فمن شفة الى خد هفتْ . ومن الى حضر .
وهمس ذاب في الانفاس من صدر الى صدر .

يثور ثائره فيستشيط غضباً على من يزحمه على بنت حواء : يقول في « المعبد الحرام » . وما اشبه معبده بالمرجيح :

سلاماً بعد ذلك ام حسام . فقد لا يصدق اليوم السلام .
من الذات التي هنا رمتاً بها . فأضنا هذا الهيام .
وصاليا بساحتها وصمنا . فلم تُجد الصلاة ولا الصيام .
وما كنا بأول من اباحوا عبادة من عبدته حرام .
فكم وثن وكم حيوان سوء جثا بجوده منا امم .
ضلال قد شرعناه اختياراً لانفسنا : فنحن به نُضام...
ام تُنبتك ارض الرجس ام من سماء الطهر انزلك الغمام ؟...
ولكنْ قد تخيلنا فخلنا : وصار الحق يحجبه التام ؛
وحال القلب دون العقل منا : فتمّ لغيرنا ملك المرام .
كأنك في زجاج إن دنونا : وطوع الكف ان يدن التام !

قد اقر عماد بعبادته للمرأة الجميلة . فلا غرو بعد ذلك من كونه يعدّ صانعها ؛ ولو استحقت صنعته بوقاحة ظُلمتها : مرتكب اثم شنيع لا يُغتفر . يقول في « لطمة » قول الجنون المحض :

ما كوكبٌ يلطمه كوكبٌ : فيُرعد الكون العريض الطويلْ
يأهول الوقع على مسمعي من لطمة تسمو لخدٍّ جميل !
يا لاطم الحسن على وجنة : كفرت بالجنّة والسلسبيل...
ان أذنب الحسن : فلا تغضبوا : فما لذنب الحسن غير القبول .
لا عُرف للحسن ، فيُجزى به : الحسن فوق العرف ، فوق الاصول ؛
الحسن شرعٌ قائم وحده : قلوبنا تعرفه ، لا العقول...
عبدتموه : فبأي القوى تلحون ما يفعل او ما يقول ؟

بعد كل ما اثبتناه بالادلة العديدة الجلية من هيام عماد الجنوني بالنساء الجميلات ، نلوذ بكشحينا من الضحك اذ نراه يدعي هداية بنات حواء الى طريق الاحتشام والعفة . في « الحسن الزائف » يستقبح كل حيلهن — وهي كثيرة بثيرة — للاستعاضة عما بخلت به الطبيعة عليهن من مظاهر الجمال :

عجبت لعادة حركت نفاراً ... من الاصداء لحد لا يسيل .
فذهت روحها فيه وغابت ... غياب الشمس في الغيم الثقيل .
وصارت دمية تغريك لوناً ... ولا تنبيك عن سر خليل
رويدك . يا فتاة . وحدثينا ... عن الدم . لا عن الجلد الصقيل !
نريد الروح في حسن وقبح . ... فجنبينا من الترب الهبيل .

في « حوار العصري » يدعونا عن تشريب حلقتهن الاخيرة بقصد تحسينها . ويعلم القاضي والداني فرط انتشار ذئب الرياء في قرننا العشرين . حتى بين القرويات :

قل لحسينة درست اضفارها ... و بي لخوف كدت اعمى هارب .!
ان الخضاب للوجوش نخالها ... حتى رأينا للحسناء ثعالبا !
بالامس انت قصصت شعرك غيلة ... ونقلت عن وضع الطبيعة حاجبا .
وغداً نراك تملت تغرك ثقفا ... وازحت انفك . رغم انفك . جانبا !
من علم الحسناء ان جمالها ... في ان تخالف خلقها وتجانبا ؟

في « الوردة الذابلة » يرمز الى استسلام آلاف النساء لعوامل الخلاعة : ويدعي انهن كن قد حفظن نضارة عفتهن لو جعلنها تحت حماية ذوي النبل والنزاهة من الرجال . ومن البديهي انه قد عد نفسه في مقدمتهم :

لو شاءت الوردة : كنا لها ... ندى اذا الانداء لم تنزل :
لو شاءت الوردة : كنا لها ... شوكاً يقيها عبث الانمل :
لو شاءت الوردة : كنا لها ... ارضاً موطأة على جدول ؛
لو شاءت الوردة : كنا لها ... شمساً تريق الضوء في معزل ،
فظل للوردة ما أعطيت ... من ناضر الحسن وغالي الحلي .

على كل حال ، بعد انكاره الجازم لوجوب عقاب النساء الآثمات ، يقول في « مظاهرة » ان المنتحات منهن على البغاء العلني خطر هائل للامن العام : فيطلب من رجال الشرطة القبض عليهن :

حذار : حذار : رجال النظام : ... فاني على الأمن اخشى الخطر .
رأيت مظاهرة قد طغت ... على الحي في نسق مبتكر ،
تألفت من غادة فذة ... مسلحة بمحيا اغر ،
تثير الخواطر انى مشت : ... وتقدح طي القلوب الشرر !
فان تتعوها ، وإلا فنحن ... الى فتنة ما لها مستقر !

عماد . العاشق الوالد لكل حسناء وقعت تحت نظره . قد داق لوعة العذاب من استعباده للنساء . فيصف ذلك الشقاء المضني في « الازاهير السامة » . ويحث ذاته — بلا جدوى . على ما نرجح — على الهرب من بنات حواء :

طالما رمتُ ان تراهن . يا قلب . واقسمت ان تكون جليدا .
ثم لما قضى الزمان لقاءً . كنت تقضي لدى اللقاء شهيدا !
انت لا تعرف الرشاد مع القرب . وما كنت في البعاد رشيدا .
كم وكم بالرجاء واليأس تشقى ! حسبك الله . لا طلبت مزيدا .
تعشق النوم في ظلال الغواني . ان حرًا في ظلهن شديدا .
فرّ عنهن . ان اطقت . مع الليل . وعش في الخفاء حرًا سعيدا .
من رهر : ومن يتم في جوار الزهر يلمس المهات حرًا وئيدا !

في « الشباب الشهيد » يردع الشيطان عن مغازلة النساء :

جاء الشباب اليّ مشيوب الجوانح والبصرْ :
قال : « الحسان الناهدات قدحن في جسمي الشرر :
« من الغصون الشمرات ؛ وقد تشهيتُ الثمر . »
فاجبته : « مه ، يا شباب . فهذه احدى الكبر :
الحسن رسمٌ . ليس جسماً ؛ حسبنا منه النظر .

قد بلغ في عصرنا فرط شغف الشبان بالنساء حد التخنث الكامل ؛ وقد اجاد عماد وصف تفاصيله في « فتيان العصر » :

رجلاً تنادي ، اذ دعوت محمدا ، ام غادةً ذكّرتها متعمدا ؟
اني ارى شعرًا تكسر لامعاً كالماء مسته الصبا فتجعدا ؛
وارى محيًا ليس من اثر به للشعر ، محفوّ الجوانب اجردا ؛
لا لحيةٌ مما عرفت يشارب كان الجدود به يخيفون العدى .
والحاجب المعهود بدد شكله ؛ فاذا به قد صار خطًا اسودا ؛
والخد والصدغ استعارا صبغةً ؛ فابيضّ هذا حين ذاك توردا !
وارى قواماً دق خصرًا وارتمى ردفاً يسير تخطراً وتأودا ؛
ويثير اني حل عرفاً ذاكياً ؛ فكأن من وشي الحديقة ما ارتدى .
واذا سمعتُ ، سمعت لفظاً حافياً آناً ، وآناً آخذ وتهدا .

النوع الثالث من مواضيع ديوان عماد ، هو الوطني ، ولم يُطل معالجته الا في قصائد قليلة ، من احسنها « الطيار المصري الاول » :

صبرٌ حرٌ من ...	اعندك نبأٌ عن ... ؟
احدثك انه قد طال ...	وجانب ... من قصر لقصر ؟
فهبني حزت ...	وجبينه بزرقته وصفر .
ويا ريح ، خضعي واخزي ...	ويا غيم ، اكفر منه بمصر .
ويا ليل ، اكتسي عتماً ...	ليعرف منك في لين ويسر .
فما كل ... كثير ...	ابكر في ... كعير بكر ؟
لقد عشت ... آمال قوم .	فيا لك من امل بخير !
وكم حاجة حققت ...	وعدد حققتها في كل سير .

قد حصر ... ارضي سعد ... عليه عدة قصائد تحتوي ... مع كثرة تبويبه ... بياناً حياً ... في ... يستهجن جريمة مصري روى سعداً برصاصة صبت درعه واستقرت في صدره . لانه قد ان كل الاباء ان يفاوض سعد الانكليز في بلادهم للحصول على استقلال مصر ، قبل جلائهم عنها . هاكم مقتطفات من تلك القصيدة :

لقد خلق السياسة قبل سعد	فتى ، فأنى يعلمه الاصولا...
فدانى ولكن تحت شرط :	يرى عند القرار له سبيلا ...
ويا مثل الشجاعة في زمان	جبان — لا رُؤيت به عليلا —
جراحك في حشا مصر جراحٌ	تسيل ، وان ابيتَ لها مسيلا !
اذا لم تشكُها باساً وكبراً :	فشكوى النيل احزنت النيولا !
لقد زادتك ، لم تُنقصك شيئاً	رصاصتهم ، فاغضبت الفحولا ؛
وباخت نارها لما احست	نسيم وفائك العذب البليلا .
ابت لسمو موقعها خروجاً :	فقرت بعدما لطُفت دخولا ؛
رأت اوزار فعلتها ، فلاذت	بصدرك تطلب الصفح الجميلا !
يريدون اختصارك بالمنايا .	ويأبى الله الا ان تطولا .

بعدما انتقل سعد زغلول الى جوار مولاه سنة ١٩٢٦ ، رثاه عماد بقصيدة طويلة ، حارة اللهجة ، ملأى بعواطف الاعجاب والاجلال ، عنوانها « يوم سعد » ، دونكم نخبة من ابياتها :

تاريخه تاريخ اروع نهضة	للنيل من عزم ومن إحكام !
لم ندر ، اذ نجلوه ، اية صفحة	هي احفل الصفحات بالإفحام ؛
احبراً جم البيان موفقاً	في بيئة حرصت على الإعجام ؟
ام مدرهاً يسمو بحرفته التي	كانت الى عار تمتّ وذام ؟

ام قاضياً جر العدالة عنوةً ... محاكم حجبت من الاحكام ؟
ام بعد ذلكم وزيراً حازماً ... هو قوة الوزراء وحكمه ؟
ام نائباً جعل النيابة غبة ... من فرق ارفع عزة ومرام ؟
ام في رياسة دارها متشيعاً ... لحق في نقض وفي ابرام ؟
ام في منابره خطيباً دافقاً ... كالسيل يهدر من محل سام ؟
ام قائداً شعباً افاء سلاحه . ... فاذا به باخرب بحذق وام ؟
كان السلاح له سلاحاً من حجى ؛ ... لا من حديد مقصف وضرام .
هذي الصحائف سوف تبقي في الورى ... سعداً . وسعدٌ غاب تحت رغام .

سنة ١٩٣٦ . عشرة اعوام بعد وفاة سعد . المعدود اكبر واشجع مجاهد لاستقلال وطنه المصري : قد حدث في القاهرة حادث رائع . هز نسيج وحده في تاريخ تلك العاصمة الطويل . الحافل باعجب الحوادث والمآثر . عامئذ قد حمل بعض الوزراء المصريين على اكتافهم . وهم حفاة . جثة سعد من قبرها القديم الى عربة مدفع : نقلها الى مدفن شامخ . بديع الهندسة والزينة : بلغت نفقاته نحو خمسة واربعين الف ليرة مصرية . ثم حملوها من تلك العربة الى داخل المدفن : على قصف المدافع ، وهم محاطون بربوات الاهالي . قد وصف عماد في « قبر الجندي المعلوم » شيئاً من عظمة ذلك الاحتفال الفريد :

تسمع ؛ انسع نفخة صور ... تجوب الفضاء وتطوي البحور ؟...
وإلا فماذا اتانا بعد : ... وانساه مثواه تحت الصخور ؟
وفيم احتشاد الورى في خشوع ، ... اذا لم يكن ذاك يوم النشور ؟
ام ان الزعيم الدفين جزوع ... على قومه لغموض المصير ،
فجاء يطالعهم من قريب ... ويقتادهم في مهب الامور ؟
سلاماً ، سلاماً ، رفات الزعيم ... ولبيك لبيك فيما تشير !
على العهد نحن ، فسر مطمئناً ... الى مضجع بعلاك جدير !...
اذا كرموا قبر جنديهم ، ... وقد جهلوه ، وساقوا النذور ،
فنحن نكرم من قد علمنا ، ... فها قبر جندي مصر الشهير ...
فما زال فينا اليه افتقار ، ... وربا رب حي ليست تقير ؛
اذا الثالث امر ، حججنا اليه ، ... فأرهف منا النهى والشعور .

بعد جلاء الجنود الانكليز عن القاهرة والاسكندرية : رثى عماد لسوء حالة مصر التي لم يخل عنها آلاف مؤلفة من ابنائها العتق الخونة ، المستأثرين بعلمهم ونفوذهم وثروتهم لمصلحتهم الشخصية ، دون ادنى اكتراث لخير بلادهم

العدم . لقد اجاد التعبير عن تلك العاطفة النبيلة في قصيدته « هل جزاء » هاكم نموذجاً منها :

ليس منا الذي يكيد لغير ... هز منهم ورؤوس الاصداء !...
اكشفوهم في السوق . فالسوق منهم ... في كساد . ونحن نشكر الغلاء .
اكشفوهم في العلم . فالعلم لنا ... منحنى نقرأ له ونشاء .
اكشفوهم في جيشنا . فالجيش طفل ... لا يريدون ان يتم نماه .
اكشفوهم في كل شيء . تروهم ... افسدوا في بلادنا الاشياء !

ويصرخ امير الشعراء عند هذه الحرب . ولا بدع بعدئذ . فقد وقف على كثب على هول الحربين العالميتين الماضيتين في سني ١٩١٤ و ١٩٣٩ . في « حرب اما سلم ؟ » يبدأ تعبيره لمسة النيل الكبرى بسهولة اعلان الحرب بدون اضطرارهم للدلك بعد حبوط كل ما يستطيعونه من المفاوضات لتثبيت السلام . فيقول « لقد رخصت نفوس الناس » .

ومن هم مُرخصوها . هم فُرادى ... من الناس اعتلوا فيهم وقاموا :
اذا ضمنوا سلامتهم . فماذا ... يضيرهم اذا فني الانام ؟
وان ملأوا بطونهم . فحق ... لديهم لو جميع الناس صاموا .
وأقسم لو تسن الحرب فيهم ... ويعفى الناس . لانتشر الوئام :
واصبحنا وساستنا جميعاً ... على الدنيا ملائكة كرام...
طُغاةَ الارض . هل لم يكف منها ... كساءٌ او شرابٌ او طعام ؟
تريدون احتكار الخير فيها : ... واهلوه ، اما بهم اهتمام ؟

« فليحذر النيل » حاوية مثل ذلك الاستهجان للحرب الظالمة الضروس : هاكم ختامها المختص بملايين الجنود القتلى :

امواج مركوني[1] . احملي عنا الى ... ارواح من راحوا التحية والاسى :
بيان فيهم هاجم ومدافع ؟ ... هذا وذلك كان اعمى اخرسا !
دُفعوا الى حما لم يريدوا : فاسمعوا ... دمنهم ينادي من طغى وتغطرسا !

« شم النسيم في الحرب » تتضمن وصفاً وجيزاً للتدمير الكامل الناتج عن الهجاء :

ماذا من الثمرات ابقت نارهم ... في الارض يملك انفساً وجسوما ؟...

---

١) يعني الامواج الكهربائية للتلغراف اللاسلكي .

أتراهم يخدعون . ان حضروا غداً ... الا عظاماً في التراب رميما ؟
فضي على نعم توارت بعد ما ... شغلت فنوناً اعصراً وعصورا !
مدنيـة الدنيا بكل عصورها ... قد حُطمت في لحظة تحطيما !
كم من عصور تنقضي لتُعيدها ! ... ولمَ الابادة . والاعادة فيما ؟

في « العلم والحرب » يتأود لكون ابناء عصرنا قد سخّروا اعجب اختراعات العلم الحديث . وفي مقدمتها المواصلات اللاسلكية والطيارة الخفاقة والقوة الذرية . للبلوغ بالحرب الى اقصى درجات التقتيل والتخريب :

لا يجيد العلم ان يُحيي ميتا ... بينما يُبدع في الاحياء موتا ؛
فهو مجنون ، وان خلناه ثبتا ؛ ... ومجنون العلم مرهوب الاثر ! ...
ان يقُل «اني سخّرت الحديدا» ؛ ... او يقل «اني ادنيت البعيدا» ؛
او يقل «طرت وجاوزت الحدودا» ؛ ... فلويل وثبـور وخطر !
يُتعب الجاهلَ قتل اثنين غدرا ، ... بينما العالم يفني الالف فورا ؛
اي هذين إذن اكثر شرا ؟ ... لا تقولوا « الشعر بالعلم كفر » .

« الى القمر » تحتوي تعبيراً فكاهياً عن خوف عماد من امتداد اطماع الدول الكبرى الى اقرب السيارات من الارض :

اليوم تبدأ عهد النحس ، يا قمرُ ، ... فقد تسامى الى اجوائك البشرُ ؛
هذي اشعتهم قرت عليك ، وفي ... غد يقترون هم والعلم والخطر ...
ان السلام الذي قد دان من قِدَم ... عليك سوف يرى هيجاء تستعر !
اليس فيك لاطماع لهم غرض ... عليه يقتتل الافراد والزُمر ؟
اليس فيك حديدٌ غاب او ذهب ... تحت التراب وزرع لاح او ثمر ؟

في « الحق والحرب » يصرح عماد بان الحرب العالمية الاولى قد انتهت سنة ١٩١٨ باهتضام الدول المنتصرة لحقوق عدة دول مغلوبة :

حربٌ بها قد شفى الانسان غلته ... من جنسه ، وادعى اللحق تمهيدا .
كم ارسلوا في ثنايا ناره حكماً ، ... كما سمعتَ بدار الحزن تغريدا ! ...
ثم انبروا ينصفون الضعف فانتصفوا ... للحزن منـه وظل الحق مفؤودا !
يسا متكرين على المظلوم حجته ... لضعفه ، زدتمُ المظلوم تأييدا ؛
افهمتموه بأنْ لا شيء يحملـه ... لحقـه غير عزم كان مشدودا ،
فشد العزم مـا شاءت ظلامته ، ... وسدد الخطو نحو القصد تسديدا

في « ميثاق السلام » يتهكم تهكماً لذيذاً الفكاهة على جميع السياسيين ومفكري الخلق بامكان ازالة الحروب :

إذ قد غرق الاسطول عمداً ... وذاك الحصن وانكسر الحسامُ .
ومات الناس في الدنيا جميعاً ... واعقبهم ملائكة كرام .
وتلك الارض صارت غير ارض . ... فحال الحب فيها والحصام .
وبات الذئب ادرد ذا اناة . ... يرى شاةً فيدركه احتشام !...
اذن نام الضعيف قرير عين : ... فان أبي القوى عنه نيام .
وقد دنأت مطامعهم وقرّت . ... فلا مالٌ يشوق ولا طعام .

الموضوع الخامس من مواضيع الديوان هو الحكم . وهي كثيرة . معظمها قليلة الابيات . مرتاحة في العالب بالسداد والايجاز . فعدّها ربيدة شعر عماد . فان قصائده الطويلة تكثر فيها شوائب المعنى والمبنى بنسبة طوفا . نتقدم الى القراء باقة نضيرة من تلك الحكم .

الطبيب والمريض

ذهب الطبيب الى المريض يعوده : ... ويحول بين حياته ومماته ؛
فاذا الطبيب يموت بعد علاجه : ... واذا المريض يسير خلف رفاته !
اين المناعة في الحياة ، وصرحها ... غرض الزلازل من اشم جهاته ؟

الالم الاول

الم الصغير لانه بذراعه ... قد طُعّما ،
ولذاك اول عهده فينا بان يتألما .
قلت : « احتمله ، يا بُنيّ : ولا تكن متبرما ؛
والمٌ سيدفع عنك آلاماً اشد واعظما ؛
« ولرُبّ شر كان من ... خير ابرّ وارحما . »

زكاة الصوم

ادّوا الزكاة الى الفقير ، وان يكن ... كرمٌ ، فأدوها له ضعفين .
انّ الغني يصوم صوماً واحداً ، ... اما الفقير فصائم صومين ؛
انْ يأتدم يوماً وبرّ به الطوى ، ... لم يأتدم من بعده يومين .

اتهام المكان

حسبتُ مكاني في المدينة مُكسبي ... ملالاً . نسيجت العزم ابغي التغيرا .
ثم يُجدني عيشي هنالك سلوةً . وابصرت حالي في الملال كما هيا :
وأيقنت انّا التي جد مخضةٌ ... وان مقامي نزعتي . لا مكانيا .

حديث المرج

سلوا لاعظ المرج ماذا اراد ... تنا راح يحكيه من قبل عادُ .
يمل الحديث اذا ما أعيد . ويعذب منه الحديث المُعاد .
كلامٌ خلا من حروف الكلام . ولكنّ معناه ملء الفؤاد .
ففي المرج معنى القوى والخلود ومعنى الجمال ومعنى الجهاد !
كأنّي مُصغٍ الى الدهر يخطب من خلف تلك السجوف البعاد :
وهل ينتهي قول هذا الخطيب المفوّه الا بيوم المعاد ؟

النجم اقرب

قال الصغير : وقد رأى ... في الليل نجماً قد تلهبْ :
« ابتي . بربك هاته ... كيما أسر به والعب . »
فاجبته : « هذا بعيد ؛ ... ليس كل مُناك يُطلب . »
فمشى ولاحت دوننا ... مبارةٌ للارض تنهب ؛
روعاء تجتذب العيون . كأنها في الارض كوكب ؛
فرنا وقال : « إذن فركبة كفه حيث اركب . »
فوجمت ثم اجبته : « النجم ، يا ابني ، كان اقرب . »

قد فرغنا من تحليل انواع مواضيع الديوان ، وأبدينا رأينا في كل منها ، وكثرنا المقتطفات لتمكين القراء من المعرفة المباشرة لشعر عماد والحكم في انتقادنا له . يسوغ لنا القول ، على وجه التعميم ، ان اكثر مواده مقتبسة من صميم الحياة ، وانها صورة صادقة لما شغل عقل الشاعر من افكار وما حز قلبه من عواطف . فضلاً عن ذلك يسرنا جداً ان نرى في صاحب الديوان نزعة شديدة الى الابتكار في اختيار مواضيع عديدة متنوعة ، قلما نجدها في معظم الدواوين العصرية . قد ذكرنا امثالاً كثيرة على ذلك ، ولا بأس بان نضيف اليها مثلين جديدين . يقول عماد في « الضربة الثانية » :

تعال من الكتاب اذا رأتني اطالعه واترك وحبيبا .
تضن بفكرتي فيما عداها . وتكره نظرتي الا اليها .
وتنظر من مقال ليس فيها . ولو شمل الحياة وساحليها .
وحب هيكلي وحيط نفسي بقية ارثها من واليها .

ويقول في « الساقية[1] الجافة » :

فأين تحول عنك الغدير . واين الخرارة والناشيه ؟
وفراسك الحابيات الشداد هي اليوم من سوسها ما هيه !
وصفصافك الغض كيف استحال عصيا منكسة حانيه .
يمر النسيم بها . لا تميل . وكانت تراقصه حاميه ...
واد طنين الذباب تراتيل تزجى الى روحك الثانيه .
فنحن امام وفاة : اجل : وفاة تعز على الناحيه :
وان حياة هنا اليوم ماتت بموتك . ايتها الساقيه !

حسبنا ما قلناه عن معاني الديوان : بقي ان نبدي رأينا في صفات التعبير او الانشاء . الابتكار الذي يزين كثيراً من مواضيع القصائد ، نجده في مئات الخيالات ، دونكم امثلة عديدة عليها . في اول « عقد » يقول :

برد ريح الصبا وصوت اخداده نبهنا الصبح . وهو في الليل راقد ،
فطلعنا على الغدير مع الشمس ، وزهر الغدير غاف يساعد ...
واثنتى ناظم على العشب اسماطاً كما ينضد اللآلئ ناضد ؛
ينبري بينها النسيم ، فتنحل على الماء واحداً بعد واحد .

يقول في « لحن عابر » :

وسواء في الشرب عود وقلب ، وسواء قبلاً هما تكوينا ؛
ذاك اوتاره ترن رنيناً ، حين اوتار ذا تئن انينا ؛
واذا ما تشد هذي ، فهذي قد حماها حر الشجى ان تلينا .
غير ان الاعواد ، ان يبل منها وتر ، أعطيت سواه متينا ،
حين ان القلوب تبلى مع الاوتار فاستعطفوا لها الضاربينا .
طرقتني في الليل ، والليل ساج ، نغمات نشرن مني دفينا ؛
فاذا الطيش شيمتي ، وانا المرء ابى ان يكون الا رزينا ؛
ان نفس الشجي تنزع للثورة ، إما تجد عليها معينا !

حاكم رأيه في الكون المادي البادي للعيان :

(١ هي اسم الناعورة في اللغة المصرية العامية .

العالم المنظور يُخفي عالماً قد وقاه سعةً وحسن رواء .
وهناك تتخذ الحقيقة عرشها فوق الظنون الكثر والآراء .

من وصفه للمنظور الساقي :

فاذا له قدمان . هذي في الثرى غابت . وهذي عن قريب تتبعُ !
هل يفصل القدمين الا خطوة تُقضى باسرع ما يكون وتُقطع ؟

هكذا يخاطب المستقبل الغامض الذي تترقى احر التوق الى كشف اسراره :

الا . ايها الغد . لو تشترى . لكنت اشتُريت بمال وفيرْ .

يقول عن اللابس ثوب الحداد بدون حزن على موت قريبه :

لبس السواد وساز في احزانه ليقال: «فاض الحزن من ارداني.»

ان كثرة الخيالات المبتكرة من اجل حلى انشاء عماد : بيد ان عدداً كبيراً منها مشين بالتصنع والمبالغة : فيزول رونقه .

هاكم عدة امثال على التصنع . يقول ان للبنفسج زرقة من عيون الراهبات الشُقر الرائيات للمسيح : ثم يوجه الى تلك الزهرة هذا الكلام الغريب :

يا راهب الزهر الوقور ، عليه قاتمة السوحْ .
في ديره يرعى عذارى الورد دامية الجروحْ .

يدّعي بتحذلق يمجه الذوق السليم : ان من شم زهرة شم جثة :

اذا ما صح ان النبت حيّ وان النبت يألم حين يُقطعْ .
فانا : ان شممنا الزهر يوماً ، شممنا جثةً بالعطر تطمع .

« البحر الحيران » سداد ولمحته من التصنع دون سواد :

رأيتُ حسناء فوق الماء لاعبةً : فقلت: «لا شك ان البحر فرحانُ.»
ثم اعترتني به شوهاء منكرة ، فقلت: «بل ان هذا البحر غضبان.»
كلتاهما فيه حقٌ ليس ينكره ، والحق في الكون اشكال والوان ؛
فان طلبنا له وصفاً يلائمه ، فوصفه الحق ان البحر حيران .

يقول عن زوارق الصيد :

تجري مع الموج الأحمّ ، كأنها بيض المنى اتفقت مع الاقدارِ .

في وصفه لغروب الشمس :

وغريبة للغرب تسرق خطوها ، يتناددا خبرٌ من الاخبارِ ؛
ابداً على سفرٍ ؛ لذاك احالها صفراء ، شيمةُ ملمن الاسفارِ ...

الشعرة صُنعت بيدٍ حبيبةٍ لتروع كل مروّع جبار ؟
ام ذاك تنور الملائكة مضرماً ام ما عسى هذا اللهيب الواري ؟
البحر يلمعه ليدرأ شره تضحكه الامواج ضبه شرار .

يقول في « البحر » :

ولاي ناحية كلوبطرا مضت بسفينة من فضة ونضار ؟
كانت . اذا خطرت عليك عشية هبطت لرؤيتها عليك دراري .
ورنت من الغور البعيد لآلئ مذعورة الصدفات عن إكبار .

يغرب عن عادة انها « موت تتهادى كما هززتَ الخُزامى » . وان « شعرها تداعبه الريح . فيحكي ديوها استرسالاً » . وانها قد « نومت عشتيا سخرة وباحرى ايقظته » .

وفي « كتاب الجمال » :

جلستُ تقرأ الكتاب على ضوء محيًا ذا وضيء الاهاب ...

ثم يقول للتي تيممه بسطوع وجنيها .

وهدتنا اجناد حسنك بالتعذيب : ان الهدى وريب العذاب .

اليكم الآن امثلة اخرى على المبالغة الفاحشة المضاحية للتصنع في كثير من الخيالات السابق ذكرها :

« وردتان » قصيدة يغازل فيها فاتنته . فيقول لها :

لك الله : هل غيرَ هذا القوام حملت : ومن ثقله تشتكين ؟
فلو كان فوق جفونيَ ، لم اشكُ منه وانكرت فضل المعين .

يقول عن فتاة حسناء سبت شيخاً هرماً فترك زوجته واقترن بها :

اذا ما رنا طرفها رنوةً الى شجرٍ مات ، يحيا الشجرْ !

وفي وصف مال فاحش :

مالٌ اذا بحرٌ حواه ، اشتعلْ : او جبلٌ ، لارتجّ منه الجبلْ !

وفي « مصرع المصارع » :

قضى عبد الحليم ؛ فهل علمتم بماذا قد قضى رجل الحديد ؟
بثروته التي ، لو وزعوها على موتى ، لعاشوا من جديد .
قضى بطل البلاد لان فيه ضماناً للحياة وللخلود !

فضلاً عن تلك المبالغة المتواترة في الخيالات — وهي من اخطر عناصر

تعبير الشعري — لا يذكر ان حدثت قبر عماد معلاة وحشة في آرائه . يحسبها دائمة كل الفيلولة . وذلك عيب ثقيل من الاول . وان كان اقل ظهوراً . من اغرب امثال تلك الآراء التي تضحك لتكذبه ان الشاعر مصري يحظر ضيا قتل الحيوان . اذ يعدّه جناية فظيعة :

لماذا قاتل الحيوان يحيا ويقتل حين يقتل آدميًا ؟

يرى تعقّله المفساد للصواب ان فرط الشناعة الجسدية في الانسان هو من احلى البراهين على قدرة خالقه الكبير . فيقول في « رسالة النحل » :

تأمل من سوآتك في شر صورة تجمعها احداقك والبواصر !
اذا ما رآها ملحد . راح مؤمنًا بالله الذي يعتقه مثلك قادر .
فتبحث إعجازًا من الله في الورى كاعجازه في الحسن . والحسن باهر .

« المخترعون » تعبّر عن خطه على مبدعي اعاجيب العلم . مع انهم من اعظم المحسنين الى البشر . وهو ذاته يتمتع كل يوم بمئات من اختراعاتهم . ايسوغ له ان يغمط نعمهم بمجرد كون ربوات من الاشرار قد اساؤوا استعمالها ؟ اسمعوا حكمه الظالم عليهم :

لقد حذقوا الشر في العالمين كما حذقوا فيهم الفائدة ...
لئن هذّبوا قاعدات الحياة . فللموت كم هذبوا قاعده !
دعوني من معجزات البخار ومن كبريائهم الخالده
ومن مركبات على الارض تمشي واخرى بافق السما صاعده :
فهذي : اذا لم تكن نقمة علينا : تكن نعمة زائده .

الحشو ايضاً من مشوهات ديوان عماد ؛ ويسهل علينا ان نذكر عليه مئات الامثال ؛ وهو من نوعين . الاول قائم باضافة كلمة مرادفة للسابقة . كما نرى في هذه التعابير : خليق بآمال السُهى وجدير ؛ سلاسل وقيود ؛ محتي ويلائي ؛ يبدو ويظهر ؛ يُرى ويُنظر ؛ الصغير الضئيل ؛ جانٍ ومقترف ؛ الى متى والامَ .

النوع الثاني قائم بزيادة كلمة مختلفة عن السابقة بالمعنى ، غير انها لا تضيف اليها ادنى ايضاح او تكملة او جمال . من امثال تلك الثرثرة المستترة : من فوق ارفع غاية ومرام ؛ صعابٌ بها ناءت نجوم واجرام ؛ انت لعيني جنة وحرير ، تتردى الدهور والآناء .

لا بد ان نضيف الى جميع العيوب الثقيلة السابق بيانها ؛ الخطأ اللغوي غير

النادر . عماد يستعمل الكلمة ناس بمعنى المفرد . مما لا يحفى القارىء عنه في انشاء تلميذ صغير . يقول في « الضمير » :

يا لابس الناس . ما تحسبك قيمته ان كان في عرف هذا الناس كالخزف!

قد وجدنا هذا الخطأ غير مرة في ديوانه . كذلك يخطئ مرارًا عديدة في تحريك الميم التي ينتهي بها الضمير المتصل الدال على جمع المذكر . كما نرى في هذا البيت :

افليس ذا حال الذين بعير قومهم نزول؟

يحيل ان الدرع مؤنثة . فيقول « ذرع حتى الاهرام ان تميل » .

كثيرًا ما يستعمل الكلمات بغير معناها العربي . فيقول « حضروا اتصالك » بدلا من « تحدوه » . و « نرجو الله ان يقسو حشاك » عوضاً عن « نرجو من الله الخ » . و « يريدون اختصارك » بمعنى « يريدون تقصير حياتك » . لا يصعب علينا ذكر عشرات من هذه الاخطاء ، غير اننا نخشى اضجار القارئين .

مرارًا عديدة . حين تضيق مذاهب الاوزان والقوافي ، لا يأنف من مخالفة اصول اللغة عمداً على عين باستعمال حرف جر لا يقبله حتى غير المتضلعين من لغة الضاد . فيقول « مصر التي احببتُ منها » بمعنى « احببتها » ؛ و « نعتّ الدنيا الى ساكنيها » . وهو يعني « لساكنيها » . هذا الخطأ ايضاً متواتر في قصائده .

خلاصة رأينا في ديوان عماد انه ، مع محاسنه التي لا يجوز انكارها بدون بخس حقه ، مشوّه بعدة عيوب ثقيلة في معانيه وبيانه . فهو في نظرنا بعيد عن المثل الاعلى للقريض الغنائي العربي العصري ، بُعد الثريا عن الثرى ، فنعدّه نموذجاً بين بين لشعرنا في دوره الانتقالي الحاضر .

واذا سلّمنا بعدم محاباة مجمع فؤاد الاول الملكي للغة العربية في منحه عمادًا الجائزة الاولى « في شعر المدرسة الحديثة الابتداعية » ، بعد سباق سنة ١٩٤٧ بين شعراء العالم العربي ، فما ذلك التفوق سوى دليل واضح على انخفاض مستوى قريضنا في وسط القرن العشرين ، وعلى صدق المثل السائر المألوف عند الفرنسيين : « العُور ملوك في مملكة العميان . »